

مساهمة الكتابات اللاتينية في المحافظة

على التراث الثقافي للجزائر

د.مهنتل جهيدة

معهد الآثار

تعتبر النقوش الكتابية اللاتينية من الوثائق الهامة في كتابة تاريخ الجزائر القديم. فان استثنينا بعض المدن الجزائرية التي لا تزال أثارها واضحة وتدل على الوجود الروماني ، فان الكثير من المدن الأخرى التي كانت مميزة جدا في الفترة الرومانية، لم يبق تقريبا شيء من أثارها يذكرنا بعظمتها، وبمختلف جوانب الحياة فيها. ولمعرفة تاريخها السياسي و الاجتماعي والديني والثقافي، ليس أمامنا إلا تلك النقوش المكتوبة، وما تحمله من معلومات قيمة تذكرنا بما كانت عليه. فنستطيع من خلال استتطاق هذه الكتابات إعادة رسم ملامح أو إعادة تصور طبوغرافية هذه المدن. بفضل الايبوغرافيا أو علم دراسة الكتابات، التي نجدها منقوشة على الحجارة كشواهد القبور أو المعادن كدبلوم الجنود والنقود أو على الفخار في شكل أختام في ورشات التصنيع أو عظام الحيوانات والعاج والزجاج أحيانا ، وحتى في الفسيفساء التي ظهرت فيها الكتابات خاصة في الفترة المتأخرة.

وتشمل الكتابات الوثائق الرسمية الخاصة مثلا بمجالس الشيوخ (Senatus consultes) ونصوص القوانين والمقررات الملكية والحكام، وغيرها من النصوص التي تمكن من وضع كرونولوجية التاريخ الروماني . وأجمل مثال هنا ما يعرف باليوم تمقاد. نجد الكتابات كذلك في المجال الاقتصادي، ولدينا هنا أيضا مثال معروف وهو تعريفة زراي (Tarif de Zarai). ووثائق أخرى نقول عنها نصف رسمية مثل الكتابات الخاصة بالهبات المالية (Evergesies) التي كان يقوم بها النبلاء واعيان المدن في شكل بناءات ، كالمعابد وقنوات المياه و غيرها من الانجازات المعمارية التي ساهمت في بناء المدن و تطورها و ازدهارها. و الأمثلة كثيرة جدا . اذكر منها مثلا الإهداء الذي قام به احد نبلاء مدينة كرتا (قسنطينة) تمثل في قوس نصر أنجزه نتاليس . وقد حظي باهتمام الباحثين نظرا للقيمة المالية الكبيرة التي خصصها هذا الشخص فهي تعبر عن الشرف العظيم لمساره الإداري. وكتابات أخرى تحدثت عن انجازات الأباطرة. وعن رتبة هذه المدن وسلمها في الإدارة الرومانية. وتعتبر الكتابات الجنائزية أهم مصدر للمعلومات، لأنها تمثل أكبر عدد من مجموع النقوش المكتوبة. فهي تتحدث عن الأشخاص وسلمهم الاجتماعي، وعن ثقافتهم ودينهم وعن أصلهم من خلال الكنى المختلفة التي يحملها هؤلاء الأشخاص .

والحديث عن بداية توثيق ونشر هذه الكتابات هو بمثابة مساهمة منا في المحافظة على تراثنا، لان هذه الشواهد جزءا هاما من ذاكرتنا. فعندما احتل الفرنسيون الجزائر، انبهروا بالآثار التي كانت موجودة بها. وظهرت في السنوات الأولى من الاحتلال بما يسمى بحمى البحث عن الكنوز الأثرية أو الآثار الثمينة، حيث أقيمت العديد من الحفريات العشوائية، ونهبت و سرقت الكثير من الآثار ، و اهمل جزءا كبيرا منها، كما أعيد ردم الكثير أيضا في مكان اكتشافها،حتى يتسنى لهم بناء المدن والقرى الاستعمارية.

وكان ممكنا ان يكون رصيد الجزائر من الكتابات اللاتينية اكبر مما هو عليه اليوم لولا الإهمال الذي عرفته هذه النقوش، التي لم يعد الكثير منها موجود اليوم. وتعود أول فكرة لوضع مجمعا للكتابات اللاتينية إلى الألمان الذين نددوا من خلال أكاديمية برلين بتعسف الفرنسيين من جنود ومعمرين، وإهمالهم التراث الجزائري. فبدأ مشروع جمع الكتابات من طرف الألماني تيودور مومسن (Thedor - Mommsen 1817- 1903)، حيث نظمت عدة رحلات علمية للوقوف على حقيقة وضع الآثار بالجزائر، وفحص ومعاينة الكتابات التي كان يشار إليها من حين إلى آخر من طرف خاصة الأثري ليون رني (Leon Renier 1809- 1885) والألماني ويلمانس (Gustave Willmanns 1867- 1904) الذي دق جرس الإنذار عندما قام بزيارة مدينة لاميرز تازولت حاليا في سنة 1873. فكتب تقريرا ندد فيه بالوضع المزري الذي ألت إليه الآثار الجزائرية، والكتابات من طرف الفرنسيين. وإذا قرانا مختلف تقارير الأبحاث المنشورة في المجلات التي تعود إلى الفترة الاستعمارية، خاصة مجلة قسنطينة فإننا نجد إن الفرنسيين انسفهم يقرون بهذا الإهمال أحيانا.

ظهر أول مجمع للكتابات اللاتينية الخاصة بالجزائر بين سنتي 1855 و 1858 من طرف رني. وقام المهندس المعماري دولامار بإعادة رسم المعالم الالبغرافية التي جمعها رني في ثماني أجزاء، ما تزال محفوظة إلى غاية يومنا هذا بالصربون في مكتبة جامعة باريس بفرنسا، في القسم الخاص بالمخطوطات.

في سنة 1872 أوكلت مهمة جمع الكتابات الخاصة بشمال إفريقيا إلى ويلمانس، ونشرت الكتابات المعروفة آنذاك في 1881 . وكان عددها 10988 كتابة في الجزء الثامن الخاص بشمال إفريقيا. (Corpus inscriptionum latinarum). ويعود الفضل في ذلك إلى مومسن ابتداء من سنة 1863 . ونشرت بعد ذلك أربعة ملاحق. قام الأثري كانيا (Rene Cagnat 1852- 1937) بإعداد الملحق الأول الذي نشر في سنة 1891. كما ساهم في انجاز الملحق الثاني إلى جانب الألماني شميدت (Johannes Shmidt 1843- 1901)، وظهر في سنة 1894. وتابعا الاثنان مهمة إكمال الملحق الثالث بانضمام ديصو (Hermann Dessau 1856-1931) إلى الفريق . فظهر الملحق الثالث في سنة 1904 ثم الرابع في سنة 1916. خصص الملحق الأول للمقاطعة البروقنصلية، الثاني للكنفدرالية

السرتية ومستعمرة كويكول، الثالث لنوميديا العسكرية، أما الرابع فلموريطانيا القيصرية وموريطانيا السطانية.

ورغم القيمة العلمية لهذه الملاحق، إلا أن استعمالها كان صعبا لأنها كانت تفتقد للإشارات. فاحذت أكاديمية برلين على عاتقها مهمة إرفاق مجمع الكتابات بالشروح المناسبة.

وفي سنة 1929 ظهر الجزء الأول من مجمع الكتابات اللاتينية الجزائرية (Les inscriptions latines de l'Algerie) الذي أنجزه الأثري المشهور ستفان قزيل (Stephane Gsell 1864-1932)، حيث جمع كل الكتابات المحصاة من قبل بما فيها التي نشرت في المجمع الخاص بشمال إفريقيا، إلى جانب عدد كبير من الكتابات التي اكتشفت. وخصص هذا الجزء للمقاطعة البروقنصلية وبالضبط الجزء الجزائري والمحدد بين مدينة عنابة ومدينة تبسة. وأصبحت منشورات قزيل هي البديل. لكن موت هذا الباحث في 1932 أوقف متابعة العمل لمدة، رغم الجهود المستحقة التي قام بها البرتيني وزيلر (E. Albertini et J. Zeiler). ومن حسن الصدف أن يكون قروني (A. Grenier) بعد نهاية الحرب العالمية الثانية هو المفتش العام للآثار القديمة بالجزائر حيث أعطى أهمية كبيرة لمنشورات الكتابات اللاتينية الخاصة بالجزائر، فساهم في إعداد الجزء الثاني منذ سنة 1948 من طرف أستاذ الابيغرافيا الألماني المشهور بفلوم (Hans- Georg Pflaum 1902- 1979)، الذي جمع الكتابات الخاصة بالكنفدرالية السرتية وكذا الأراضي التابعة لمدينة كويكول، إي مقاطعة نوميديا الشمالية. وقام فلوم بزيارة المواقع وعاین وراجع الكتابات. فظهر بذلك العدد الأول من الجزء الثاني سنة 1957 بباريس. وبعد الاستقلال رأت الحكومة الجزائرية انه يستوجب عليها الاهتمام بتراتها، وبالتالي ظهر العدد الثاني من الجزء الثاني في سنة 1976 بالجزائر. وقد رافق فلوم في مهمته الميدانية السيد منير بوشناق و الباحث الفرنسي فيفري (P. A. Fevrier). وترك فلوم قبل وفاته سنة 1979 نسخة مكتوبة بيده للعدد الثالث من الجزء الثاني، مع تعليقات واضحة للاعداد الثلاثة. واستطاع العدد الاخير ان يرى النور بفضل جهود لجنة التاريخ و الآثار بشمال افريقيا و هي اللجنة التي توقفت في سنة 2003 للأسف. وأيضا بفضل جهود الأستاذ لوقلي (M. Leglay) ووقوف المؤرخ الجزائري عبد الرحمان خليفة بالجزائر و أخيرا المساعدة القيمة لمجلة السنة الابيغرافية (Année épigraphique). فلم تذهب بذلك جهود فلوم سدى، خصوصا وانه كان من الصعب إيجاد التمويل. لان القيمة المالية المطلوبة كانت كبيرة. و يرجع الفضل في حل هذا المشكل إلى الأستاذ مندوز (A. Mandouze) الذي استطاع في سنة 1981 تحسيس وزارة فرنسا الخارجية. كما يعود الفضل كذلك إلى مدراء المدرسة الفرنسية بروما أمثال نيكولي وفوكليز (A. Vauclez et C. Nicolet). إلى جانب الوكالة الوطنية للآثار. وظهر العدد في شكل ضخ يحتوي على أكثر من 3000 كتابة، ونشر تحت رعاية دوبوي (X. Dupuis). وتميز عن سابقيه باحتوائه على 104 لوحة

توضيحية لـ 540 وثيقة مكتوبة. ويمثل العدد الإجمالي لكل الكتابات اللاتينية المنشورة 10200 نصا إلى غاية 2003، في انتظار صدور العدد الخاص بمقاطعة موريطانيا القيصرية.

و هذه النقوش المكتوبة هي اليوم وثائق ذات أهمية بالغة في كتابة التاريخ، فهي تعرفنا عن مختلف جوانب الحياة في الفترة القديمة.

واخترت كتابتين كنموذج يبين المساهمة الفعالة للكتابات في إضفاء الكثير لتاريخنا. وهي تخص نائبين في كرتا (قسنطينة) يعودان إلى فترة متأخرة، لأن معظم نواب هذه المدينة حسب النقوش الكتابية يعود تاريخهم إلى فترة القرنين الثاني والثالث ميلاديين. إلا أن العثور على كتابتين جديدتين تحملان اسمين جديدين لنواب كرتا تعد إضافة هامة لتاريخ المدينة القديمة.

وتعود ظروف اكتشاف هاتين الكتابتين إلى 1996م أثناء تهيئة قصر الياي بقسنطينة، كما يدل عليه التقرير الموجود بالأرشيف التابع لديوان تسيير واستغلال الأملاك الثقافية المحمية (OGEBEC). وقد تم نشر هاتين الكتابتين في سنة 2005 م في المجلة الخاصة بالنقوش الكتابية Année Epigraphique¹.

و لا يزال النصبان اللذان يحتويان على الكتابتين موجودان بقصر الياي.

* التعريف بالنصبين:
النصب الأول:

هو عبارة عن كتلة من الحجر لكلسي الرمادي، ارتفاعها 1.08م و عرضها 0.56 م . و يتكون النصب من ثلاثة عناصر:

قاعدة ذات نتوء تزييني ارتفاعه 0.25 م، كورنيش بـ 0.20 م في الارتفاع، و حقل الكتابة مستطيل الشكل بـ 0.60 م في الطول و 0.38 م في العرض.

نوع الكتابة: شرفية

النص كاملا:

¹ A.E., 2005, 01695 et 01696.



DOMINO OR(bi)s IN/ VICTO
AC PERPET(uo) / PRINCIPI
D(oomino) N(ostro) FL(avio) IVLIO/
CONSTANTIO VICTORI / SEMPER Aug(usto)
FL(avius) OVIDIVS APTHO(N(i)us V(ir) CL(arissimus
CONS(ularis)

بمعنى:

إلى سيد الأرض الذي لا يهزم و الأمير الأبدي سيدنا فلافيوس يوليوس قسطنطيوس المنتصر دائما التقى فلافيوس أوفيدوس أبتونيوس رجل مشهور جدا. قنصل.

و ما يهمنا من هذه الكتابة هو اسم النائب FLAVIVS OVIDIVS APTHONIVS و الذي يرجع إلى فترة العهد الإمبراطوري الثاني و بالضبط إلى عهد كوستنتيوس الثاني CONSTANTIVS ، إلى سنة 337م حسب لقبه أغسطس.

ويعتبر اسم أوفيدوس اسما لاتينيا معروفا عكس الكنية APTHONIVS، ويظهران لأول مرة بالمدينة. ونلاحظ هنا استمرار ظهور لقب VIRCLARISSIMUS و CONSULUS في العهد الإمبراطوري الثاني. فقد بقيت رتبة النائب موروثة إلى فترة متأخرة.

وقد يكون النائب ينحدر من درجة الموظفين (Classe curiale) ، الذي يصبح فيها هذا الأخير من الأشراف (HONRATII) ، ويعيش في مدينته دون القيام أحيانا بأي مهام إدارية².

وفي هذه الكتابة فإن النائب يحمل لقب قنصل، الذي يعتبر تنويفا للمسار الذي قام به هذا الشخص. حيث يعطى هذا اللقب للنواب الذين خاضوا مسارا مدنيا مشرفا (Cursus Honorum) ويعينون من طرف الإمبراطور³.

² - Lassere (J.M), Manuel d'épigraphie Romaine, T2, Edit Picard, Paris, 2005, P. 725.

³ - IBID, P.734,

النصب الثاني :

هو كتلة من الحجر الكلسي الرمادي ارتفاعه 0.92 م وعرضه 0.75 م موضوع فوق قاعدة عرضها 0.82 م وارتفاعها 0.40 م وتحتوي على إطارين مستطيلين يحملان كتابتين على الوجهين. وقد نقشت بأحرف جميلة و عناية كبيرة.

الكتابة الأولى شرفية، وهي التي تهمنا والثانية جنائزية تخص معتوقين كانا عبيدين عموميين.

SALVIS DD N N

HONORIO ET THEODOSIO

PP SEMPER AUGUSTIS

CAESIVS AVFIDIANVS

POL BIVS VIC POC AGENS

VICARIAM PRAEF PRAET

CVRIA ORNAVIT

نوع الكتابة: شرفية

النص كاملا:



SALVIS DD (OMINIS) NN (OSTRIS)

HONORIO ET THEODOSIO

P(ER) P(ETUS) SEMPER AVGUSTIS

CAESIVS AVFIDIANVS POLYBIVS

V(IR) CL(arissimvs) P(RIMI) O(RDINIS)

C(omes) AGENS VICARIAM

PRAEF(ECTURAM)

PRAET (ORIO) CURIA(M) ORNAVIT

بمعنى تحية إلى سادتنا أونوريوس وثيودوسوس داما أبديين وتقين. كايسوس أوفديانوس بوليبوس

رجل مشهور جدا. كومس من الدرجة الأولى (Vicaire) قام بتزيين المجلس البلدي

تعتبر هذه الكتابة أهم من الأولى وتحمل إسم نائب جديد يضاف إلى قائمة نواب المدينة: وهو

CAESIVS AVFIDIANVS POLYBIVS

ويعود إلى فترة متأخرة وبالضبط إلى فترة الإمبراطورين أونوريوس (393 – 423م) وتيودوسوس الثاني (402 – 450 م)

وإذا كان لقب هذا النائب معروفاً من قبل بالمدينة، فإن اسمه Aufidianus، وكنيته Polybius، يظهران لأول مرة بالمدينة. وإن يكن يقترب من اسم Aufidius المعروف من قبل بالمدينة والكنية Polybius معروفة وهي من أصل إغريقي.

وتكمن أهمية هذا النائب في حصوله على لقب Comes من الدرجة الأولى، وهو لقب شرفي، يكون كمساعد للإمبراطور في البلاط الملكي.

وقد بدأ ظهور التمييز في الدرجات لهذه الرتبة نحو سنة 330 م وتأتي كأعلى درجة⁴.

وكما سبق وإن ذكرت فإن ظهور هذين الاسمين هما إضافة هامة لتاريخ المدينة في الفترة الرومانية، وخاصة في الفترة المتأخرة التي تؤكد أن المدينة رغم ما تعرضت له من توترات، وتهديم. إلا أنها عرفت انتعاشاً بمجيء الإمبراطور قسطنطين، الذي اتخذت من اسمه اسماً جديداً لها.

وهذا الانتعاش قد ترجمته الكتابات المكتشفة بها، والتي تعود إلى هذه الفترة المتأخرة منها الكتابات الخاصة بالهبات المالية وأيضاً الشرفية على غرار هاتين الكتبتين التي تتحدث عن تزيين المجلس المحلي (Curia). كما أنها سمحت من تحديد مكان الساحة العامة (Forum) في محيط قصر الباي.

⁴-Lassère, Op-cit, P. 742.